المحاضرة الثانية (02)

المناهج في العلوم الاجتماعية

تختلف المناهج في العلوم الاجتماعية باختلاف المواضيع، فلكل منهج وظيفته وخصائصه، التي يستخدمها كل باحث في ميدان اختصاصه، فمثلا إذا كان البحث حول موضوع تاريخي فإنه يتعين على الباحث أن يعتمد المنهج التاريخي في تشخيص موضوع دراسته، وإذا كان البحث حول دراسة ظاهرة معينة من سلوك الأفراد واتجاهاتهم، فإن ذلك يتطلب استخدام المنهج الوصفي، وهكذا يختلف المنهج كلما اختلفت طبيعة الموضوع محل الدراسة، بل وفي بعض الأحيان أو المواضيع يجد الباحث نفسه مجبرا على استخدام أكثر من منهج.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى عدم وجود إجماع بين المختصين في العلوم الاجتماعية، وخصوصا منهم المهتمين بالمنهجية، على تصنيف موحد لمناهج البحث الاجتماعي، لذا فإن الدقة المفروضة في البحث العلمي تحتم على الباحث أن يقدم وصفا دقيقا للإجراءات المتبعة في دراسته للظاهرة.

ويعتبر المنهج العمود الفقري في تصميم البحوث الاجتماعية، كون اختيار المنهج الملائم يعتمد اعتمادا أساسيا على طبيعة الظاهرة المدروسة والموضوع المراد بحثه، ويركز المهتمون بمناهج البحث على أن الباحث ليس حرا في اختياره للمنهج، وإنما طبيعة الظاهرة موضوع الدراسة وخصائصها المميزة، وطبيعة العلاقة التي تربط بين متغيراتها، والأهداف التي يصبو الباحث إلى تحقيقها، هي التي تعمل مجتمعة لتفرض على الباحث المنهج الملائم للدراسة.

1. تعريف المنهج:

يمكن وصف المنهج العلمي بشكل عام بأنه "فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين".

والمقصود بمناهج البحث تلك المجموعة من القواعد والأنظمة العامة التي يتم وضعها من أجل الوصول إلى حقائق مقبولة حول الظواهر موضوع الاهتمام، من قبل الباحثين في مختلف مجالات المعرفة.

وعليه يمكن القول أن المنهج في أبسط تعاريفه هو:" الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة"، أو هو :"مجموعة الخطوات المتتابعة والمتناسقة التي يتبعها الباحث للوصول إلى حقيقة ما عن موضوع معين".

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تطبيق المناهج العلمية للبحث يهدف وباستمرار إلى توسيع آفاق المعرفة العلمية حول مختلف مجالات الاهتمام من قبل الباحثين، بتطور الحياة الإنسانية.

2. أنواع المناهج:

في البداية تجدر الإشارة إلى عدم وجود إجماع بين العلماء وخصوصا منهم المهتمين بالمنهجية على تصنيف موحد لمناهج البحث الاجتماعي، ومهما تكن التصنيفات والتسميات، فإن المنهج يتحدد بناءا على تساؤل الإشكالية، ومحاولة الإجابة عن التساؤل الذي مفاده: على من مِن البشر سوف تجرى الدراسة؟، فإذا كانت ستجرى على مجموعة من الناس بقصد الوصف للوصول إلى تحقيق هدف علمي، فإن المنهج الملائم هو المنهج الوصفي، وإذا كانت ستجرى على مجموعة من البشر في الماضي–سواء البعيد أو القريب– فإن المنهج المناسب سيكون المنهج التاريخي، أما إذا تمت على مجموعتين من الناس تكون إحداهما ضابطة والأخرى تجريبية، فالمنهج المناسب لذلك يكون المنهج التجريبي، أما إذا

أجريت على عينة صغيرة (مختارة) للوقوف على تفاصيل حالتهم (تصرفات الأفراد وردود أفعالهم) فالمنهج الأنسب هو دراسة الحالة.

بل وفي بعض الأحيان أو الحالات يجد الباحث نفسه مجبرا على استخدام أكثر من منهج، وذلك إذا كانت طبيعة المشكلة التي يدرسها تتطلب ذلك، وعلى هذا الأساس فإن في كل دراسة يعتمد الباحث منهج أساسي وغيره مناهج مكملة، وذلك بناءا على ثقل كل منهج وما يوفره من بيانات ومعلومات أو ما يصب فيه من فرضيات.